تخلّصنا. إذا أنكرنا أن سبب هلاكنا يرجع إلى الشخص الذي كان يمثّلنا فإن البرهان على أن خلاصنا قد تحقق بواسطة ممثل آخر لنا هو برهان باطل. وبكلمات أخَر، إذا رفضنا أن يكون آدم شخصية تاريخية، وأن السقوط كان أمرًا حقيقيًّا، وإذا رفضنا مبدأ تمثيله لنا واتحادنا به؛ فإننا بذلك نرفض المسيحية من أساسها. إذا أنكرت أننا كنا هالكين طبقًا لمبدأ اتحادنا بآدم، فلا يمكن أن تُبقي على حقيقة خلاصنا بمبدأ اتحادنا بالمسيح.

لقد حان الوقت لمواجهة الحقائق. لو أن آدم لم يُوجد، ولم يسقط – كما قال الكتاب المقدس – فإن توقعنا الخلاص بآدم الثاني يكون مضيعة للوقت، ونكون غير مخلَّصين. لهذا السبب علينا أن نقاوم – بكل ما أوتينا من قوة –نظرية التطور العصرية. إن المسألة ليست تصدِّيا لآراء مغايرة – لكنها بنفس الدرجة من الصِّحة – لا، إنها مسألة تؤثر على خلاصنا. فلو كانت نظرية التطور صحيحة، فإن الإنسان لا يكون هو الإنسان الذي تحدث عنه الكتاب المقدس، ولا المسيح هو المسيح الذي تحدث عنه الكتاب المقدس، داعيًا إياه "آدم الأخير".

إننا لا نستطيع أن نؤمن بنظرية التطور، ونؤمن بالكتاب المقدس في نفس الوقت. إنك لا تستطيع أن تنكر ما جاء في الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين، وبعد ذلك تلجأ إلى مسيح الكتاب المقدس (الذي قد قبلَ هذه الأصحاحات) لكي تخلص. إن الاعتقاد بنظرية التطور ليس أمرًا اختياريًّا، جدير بالقبول. لا، إنه خطية تستلزم التوبة.

وهذا لا يعني أن المسيحية الكتابية تدعو للتخلف. إننا لسنا مجموعة من النعام تدفن رؤوسها في الرمال، متعامين عن التقدم العصري في العلم والمعرفة. إن التطور

ليس إلا نظرية، وهناك عدد كبير من العلماء الأمناء لا يقبلونها – فهم يرون أن الدلائل العلمية تستلزم موقفهم هذا.

وفي الحقيقة، فإن الكثيرين منهم، يعتبرون أن هذه النظرية يصعب الدفاع عنها في ضوء الاكتشافات والأبحاث الحديثة. وقد اعترف بعض الذين يعتقدون بنظرية التطور، بأن السبب الوحيد الذي يجعلهم يتمسكون بها، أنها البديل الوحيد للإيمان بالخلق. وبالطبع أنه بمجرد أن تؤمن بالخلق، يجب أن تؤمن بالخالق، وإذا آمنت بالخالق؛ فيجب أن تعترف أننا جميعا خلائقه، وأننا مسئولون أمام ذاك الذي خلقنا.

وللأسف، فهذا هو فكر لا يُريح الإنسان الذي لا يريد لحياته أن تتغيَّر. إنه يفضل أن يواصل اعتقاده بنظرية تفتقر للبرهان والثقة، عن أن يسمح بدخول هذا الفكر الكتابي إلى عقله.

إن الإيمان بآدم التاريخي، لم يشكل عائقًا للرسول المُلْهَم، وها هو الرسول بولس يبدأ حجته بأن الهلاك الذي حل بنا جميعًا عن طريق آدم كان عظيما، لكن الخلاص الذي أعِدَّ لنا بواسطة المسيح أعظم. لذلك يناقش بولس الرسول بركات الخلاص، وهذا هو ما يربط هذا النص بما قبله. لقد سبب آدم الهلاك الهائل لكل الذين هم فيه، ولقد أوجد المسيح الخلاص الأعظم لكل الذين هم فيه. دعونا نرى إذن كيف يوضح بولس الرسول هذا الأمر. إنه يوجهنا أولا إلى:

الدمار الناتج عن السقوط

عدد12- 14: لقد كان الشيطان – وليس آدم – هو أصل الخطية، فقد اقتحمت الخطية العالم قادمة من موضع آخر (عدد12)، لكنها وطدت أقدامها في العالم بواسطة آدم.

فآدم أخذ وصية واضحة من الله، وكان لديه الحرية والقدرة على حفظها، لكنه لم يطعها، رغم أنه كان يعرف عاقبة ذلك معرفة كاملة، فماذا كانت النتيجة؟ الموت!

لقد جاء الموت من الخطية، ولم يكن الموت طبيعيًّا ضمن طبيعة تكوين الإنسان؛ ولهذا فإننا نخاف منه، فالموت كان يعني أن شركة آدم مع الله قد تحطمت. لقد طُرد آدم من الجنة، وتبع ذلك حتما الموت الجسدي. لو لم يكن قد أخطأ؛ لكان بالإمكان ألا يموت.

هذه الخطية الواحدة، التي عملها إنسان واحد هي السبب في تسلُّط الموت على الجميع، وهذا ما يؤكده ليس فقط عدد12، لكن أيضا الأعداد من 15إلى19. والنص اليوناني لهذا الجزء واضح: عندما أخطأ آدم أخطأ الجميع. إن بولس الرسول لا يبرهن هذا الأمر من منطلق أن آدم هو جدنا، لكن لأن آدم هو الجنس البشري. إنه الممثل والذي كان فيه كل الجنس البشري. توجد وحدة في الجنس. إننا وآدم أعضاء بعضنا لبعض مثل الجذر والأغصان. لقد رسم الله أن نكون في هذه العلاقة مع آدم، وعندما أخطأ آدم أخطانا نحن، أي اشتركنا في خطية آدم.

ليس حسنا أن نقول: "هذا ليس عدلاً" لأن هذه حقائق، ومن الحماقة أن نعترض قائلين: "أنا ما كنت أفعل ما فعله آدم"؛ لأننا نحن أنفسنا نفعل ما فعله آدم كل يوم في حياتنا. ومن الحماقة أن نقول: "إن ذلك ظلم"، لأن نفس المبدأ التمثيلي الذي شكَّل منا خطاةً، هو نفس المبدأ الذي بواسطته الواحد يسوع المسيح يُخلص الخطاة.

عدد12 يرينا إذًا أن الخطية دخلت إلى الجنس البشري عن طريق آدم، ومع الخطية دخل الموت. انظر إلى عددي13، 14. لماذا مات الناس في الفترة ما بين آدم وموسى؟ هل بسبب تعدِّياتهم؟ كلا، ليس كذلك. في ذلك الوقت لم يكن هناك ناموس ليتعدوه. لم يكن هناك مقياس يمكن على أساسه تحديد التعدِّي. لم تكن هناك طريقة،

يمكن على أساسها أن يوصف أي شخص بأنه مذنب، مع ذلك كان البشر يموتون، ولأن الخطاة فقط يموتون؛ فذلك يبرهن بوضوح أنهم كانوا خطاة، بالرغم من أنه لم يكن هناك ناموس. ما جعلهم خطاة ليس كسرهم للناموس، لأنه لم يكن هناك ناموس، كما أنهم لم يخطئوا بالبشاعة التي أخطأ بها آدم. لكن الحقيقة أن الجميع أخطأوا في آدم، وهذا كان السبب في موتهم.

لقد تأثروا بما فعله نائبهم. إن عمل الواحد أثر على الكل. خطية الواحد أهلكت الكثيرين، وأي هلاك! لم يكن هناك رجاء للجنس البشري إلا في ذاك الآتي، فإن آدم هذا لكونه ممثلاً لنا؛ كان هو الرمز والشبيه والنموذج للمسيح. إذًا المبدأ النيابي الذي تسبب في هلاكنا هو أيضا الوسيلة لخلاصنا. من هذه الناحية يوجد تشابه بين آدم والمسيح، أحدهما صورة للآخر.

يوجد آدم الأول ويوجد آدم الأخير. يوجد الإنسان الأول ويوجد الإنسان الثاني، وتلك هي نعمة الله، أنه حتى فساد الإنسان يعلّمنا عن المسيح مخلص الخطاة!

التباين بين آدم الأول وآدم الأخير

الأعداد15 – 21: إذًا هناك تشابه بين آدم والمسيح، لكن هناك أيضا اختلافات هامة. إن عطية الخلاص المجانية في المسيح، لا تتشابه مع السقوط في آدم. هذه هي النقطة الرئيسية التي نفهمها من عدد15 وحتى نهاية الأصحاح. إن هلاكنا في آدم عظيم، لكن خلاصنا في المسيح أعظم؛ فبسبب خطية الواحد؛ مات الكثيرون (كما يُفهم من النص اليوناني لعدد 15)، لكن في المسيح هناك فيض عطية النعمة المجانية. والفيض هنا ليس في العدد، بالرغم من أن شعب المسيح يوصف في الأصل بأنه "الكثيرون"، لكنه أوفر الامتيازات والفوائد. إن قوة المسيح على الخلاص تفوق

كثيرًا قوة آدم على الهلاك؛ لذلك نحن نأخذ في المسيح بركات أكثر مما فقدنا بالسقوط.

ويوضح بولس الرسول هذا في عدد16. توجد أوجه شبه بين آدم والمسيح، لكنها ضعيفة؛ فالهلاك الذي سببه الواحد الذي أخطأ لا يمكن أن يُقارَن بالهبة التي جاءت بواسطة الآخر. بخطية آدم الواحدة وقع حكم الدينونة على الجنس البشري، لكن نعمة المسيح المجانية تفوق هذا كثيرًا. وبالرغم من أن تلك الخطية قد تكررت كثيرًا (من البشر)، فإن المسيح عَكَس الحكم، وجعل الكثيرين من الخطاة، يعودون إلى علاقة صحيحة مع الله.

بواسطة خطية واحدة لآدم، مَلَكَ الموت على الجميع (عدد17)، لكن انظر إلى ما قدمه المسيح لنا – لقد غمرنا بعطفه الذي لا نستحقه، وحَسَبَ لنا برَّه، ونحن نتشارك – وسوف نتشارك – معه في حياة القيامة والمجد.

انظر إلى عدد18. بواسطة خطية آدم؛ وقعت الدينونة على جميع المتَّحدين به، وبواسطة بر المسيح؛ مُنح تبرير الحياة لكل المتَّحدين به. وقول بولس الرسول "جميع الناس" لا يُقصد به إطلاقا أن كل واحد من البشر سوف يخلُص، فقد ذكر بوضوح في الأصحاحات السابقة، أن نسبة كبيرة من الجنس البشري سوف يُدانون، لكنه هنا يناقش المبدأ النيابي. لقد أهلك آدم كل الذين كان يمثلهم، ويعطي المسيح تبرير الحياة لكل الذين يمثلهم.

عدد18 يمكن أن يُترجَم ليعني أنه كما أن الدينونة قد وقعت على الجميع بسبب خطية واحدة، فإن تبرير الحياة مضمون بسبب عمل بر واحد. في هذه الحالة يشير بولس الرسول إلى العمل العظيم للطاعة، والذي كان ذروة كل حياة الطاعة للمسيح، ألا وهو ضمانه لخلاصنا على الصليب. وإن ما يسعدنا هو أن المسيح لم يضمن فقط

براءتنا؛ ولكنه ضمن برًّا لنا. إن لنا التبرير الذي يؤهلنا إلى الامتلاك العادل للحياة والتمتع بها.

لقد كان عصيان الواحد هو الذي جعلنا خطاة (عدد19)، لكن المسيح أطاع، وهذا جعل الكثيرين أبرارًا. لقد نُسب بر المسيح لنا، وحُسب لنا شرعًا. هذه الحقيقة المجيدة وحدها، هي أساس علاقتنا الجديدة مع الله.

وإعطاء الناموس لم يخفف من حالة الإنسان الهالك (عدد20). لقد وُجدت الخطية قبل الناموس، وكان دور الناموس إظهار الخطية على حقيقتها. لكن الناموس في الواقع زاد من كم الخطية في العالم، وليس هذا بسبب وجود أي شيء شرير في الناموس، فهو يمثل النقاء والبر معًا، لكن قلب الإنسان هو الشرير. وعندما يُواجَه قلبُ الإنسان بالناموس؛ فإنه يُظهر تمرده، من خلال عصيانه للوصايا الإلهية. إن وصايا الله أصبحت واضحة بالناموس، لكن قلب الإنسان لم يتغيّر وكان فاسدًا، لدرجة أنه عمل عكس ما أوصى الله به، فكان العالم بعد إعطاء الناموس أكثر سوءًا مما كان عليه من قبل، وكثُرت الخطية جدا. أيضا كان من الضروري أن يكون خلاص المسيح أعظم كثيرًا من الإنهيار الأخلاقي؛ لأنه حيث كثُرت الخطية، ازدادت النعمة جدا.

لقد ملكت الخطية (عدد21)، والدليل على هذا أنه كان هناك موت روحيّ وموت مادِّي في كل مكان. لقد كان المشهد عبارة عن خراب وهلاك تام. وأيضا، كانت فوائد الفداء تتزايد كثيرا عن ذلك. وأخيرا جاء المسيح. يالها من نعمة! لقد حَفِظ الناموس واستنفد عقابه، حتى أن العدل لم يُبطل. أي برٍّ هذا! وعلى هذا الأساس فهو يعطي الآن الحياة الأبدية لشعبه.

لقد ملك الموت (عدد14، 17)، وملكت الخطية (عدد21)، لكن بالنسبة لنا، النعمة هي التي تملك (عدد21). إنها تملك بربنا يسوع المسيح. ياله من شخص عظيم! وياله من عمل عظيم!